أدب الجاحظ
مصدراً من مصادر الفكر التربوي في البصرة

الأستاذ المساعد الدكتور
ناجح سالم موسى المهنا
جامعة البصرة - كلية الآداب

ملخص البحث

مما يجدر ذكره في هذا الموضع هو أن الجاحظ لم يؤلف كتابا بعنوان التربية والتعليم ولم يعقد فصلا في مناهج التعليم أو أهدافه أو وسائله وطرقه ، كما فعل بعض المفكرين المسلمين أمثال ابن سحنون وابن سينا والغزالي وابن جماعة وابن خلدون وغيرهم. إلا أن قراءة ما تركه لنا الجاحظ من مؤلفات تضع اليد على ما تضمنته تلك المؤلفات متمثلة بالكتب والرسائل من مبادئ التربية والتعليم، وهو ما تحاول هذه الدراسة تأكيده .

حاول البحث قبل التطرق إلى موضوع الفكر التربوي في أدب الجاحظ أن يعرض بشيء من الإيجاز ما نقله لنا الأدب العربي القديم قبل الجاحظ من إشارات تتعلق بالتربية والاهتمام بالنشء، فلم يخلُ الأدب العربي القديم، سواء أكان شعرا أم نثرا من إشارات إلى الطفل وما يمكن أن يقدمه الأب له من وصايا بوصفه الامتداد الشرعي له، كما لم تخلُ تلك الوصايا من التأكيد على مكارم الأخلاق التي يجب على الطفل أن يتحلى بها ، لتكون جزءا لا يتجزأ من شخصيته وسلوكه، كما حفل الأدب العربي القديم بالكثير من الأشعار والمقطوعات النثرية التي تقدم صورا تجسد عاطفة الأب تجاه ابنه.

وكما حفل الشعر العربي القديم بالعديد من القصائد أو المقطوعات التي لها علاقة مباشرة بالطفل وتربيته أو معاتبته أو بيان العاطفة تجاهه لم يخلُ النثر العربي القديم من الالتفات إلى موضوع الطفل وتربيته تنشئته تنشئة سليمة على وفق مبادئ تربوية لا تختلف كثيرا عن تلك المبادئ التي أكدها القران الكريم وهذا ما يتضح مما نقله القران الكريم من سير الأمم والأنبياء ووصاياهم لأبنائهم فلقد صحبت التربيةُ الإسلامَ منذ بدء ظهوره وانتشار نوره على يد النبي(صلى الله عليه واله وسلم) الذي أرسله الله تعالى إلى الناس كافة يعلمهم أمور دينهم ودنياهم ، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم . فكان رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) أول معلم في الإسلام . وقد قامت التربية الإسلامية منذ بدء ظهورها على أمرين : هما القران والسنة.

ثم حاول البحث الإشارة بشيء من الإيجاز إلى أهم الجهود التي قام بها بعض المفكرين والفلاسفة العرب المسلمين في مجال التربية والتعليم والتنظير لهما بعد الجاحظ أمثال الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) وابن جماعة (ت ٧٧٣ هـ) ، وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

أما أهم المفردات التي حاول البحث معالجتها بإمعان من خلال قراءة أدب الجاحظ فهي :

١ - أصناف المعلمين وتصنيف العلوم عند الجاحظ.

٢ - تعامل المعلم مع الطفل.

٣ - الطفل والتعبير .

٤ - ماذا يحتاج الطفل من النحو.

٥- الحفظ والاستنباط .

٦ - رسالة التربوي إرشاد الناس .

٧ - العامل النفسي والإرشاد.

وخُتم البحث بالإشارة إلى أهم النتائج وفهرسة بالمصادر التي أُعتمدت فيه .

التربيـة عنـد العرب :

قبل التطرق إلى موضوع الفكر التربوي في أدب الجاحظ لا بد لنا أن نعرض بشيء من الإيجاز ما نقله لنا الأدب العربي القديم قبل الجاحظ من إشارات تتعلق بالتربية والاهتمام بالنشء، ونحاول بعد ذلك أن نشير إلى ما حفظه لنا التراث الأدبي والفلسفي العربي من فكر تربوي بعد الجاحظ. ومما يجدر ذكره في هذا الموضع من الدراسة هو أن الجاحظ لم يؤلف كتابا بعنوان التربية والتعليم ولم يعقد فصلا في مناهج التعليم أو أهدافه أو وسائله وطرقه ، كما فعل بعض المفكرين المسلمين أمثال ابن سينا والغزالي وابن سحنون وابن خلدون وغيرهم، (١) . إلا أن قراءة ما تركه لنا الجاحظ من مؤلفات تضع اليد على ما تضمنته تلك المؤلفات متمثلة بالكتب والرسائل من مبادئ التربية والتعليم، وهو ما تحاول هذه الدراسة تأكيده .

لم يخلُ الأدب العربي القديم، سواء أكان شعرا أم نثرا من إشارات إلى الطفل وما يمكن أن يقدمه الأب له من وصايا بوصفه الامتداد الشرعي له، كما لم تخلُ تلك الوصايا من التأكيد على مكارم الأخلاق التي يجب على الطفل أن يتحلى بها ، لتكون جزءا لا يتجزأ من شخصيته وسلوكه، كما حفل الأدب العربي القديم بالكثير من الأشعار والمقطوعات النثرية التي تقدم صورا تجسد عاطفة الأب تجاه ابنه ، فهذا أمية بن أبي الصلت يتوجه إلى ابنه بخطاب أبوي هادئ مملوء بالعاطفة والعتب معا قائلا: (٢)

غذوتك مولودا وعُلتُك يافعاً ... تُعَل بما أُحني عليك وتنهل

إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت ... لشكواك إلا ساهرا أتململ

كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طُرقت به دوني فعيناي تهمل

تخاف الردى نفسي عليك وإنني ... لأعلم أن الموت حتم مؤجل

وان ليس عن ورد المنايا مؤخر ... لعز ولا عنها لذل معجل

في هذه الأبيات يقدم لنا أمية بن أبي الصلت صورة لعاطفة الأب الذي يشكو لشكوى ابنه ويبقى ليله ساهرا يتململ لما اعترض ابنه من الألم، وفي مقابل هذه الصورة يقدم لنا صورة ذلك الابن الذي ينكر لأبيه فضله عليه: (٣)

فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم التفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار ولم تكن ... علي بمال دون مالك تبخل
زعمت باني قد كبرت وعبتني ... ولم يمض لي في السن ستون كمل
وسميتني باسم المفند رأيه ... وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل
وان كنت شيئا فالتمس لك والدا ... أبا لك تدعوه أبا حين تُسأل
تراه معدا للخلاف كأنه ... برد على أهل الخلاف موكل

لا يخفى على القاري ما تحمله هذه الأبيات من نبرة مملوءة بالحزن والأسى تجيء من أب كان يأمل أن يلاقي العطف من ابنه فإذا بالابن يقابل الأب بالغلظة والفظاظة، ونجد الأب يطالبه أن يحفظ له حق الجوار إن لم يرع حق الأبوة. هذه صورة من الصور التي حفظها لنا الشعر العربي القديم تبين لنا جانبا من جوانب العلاقة الأسرية وهي هنا متمثلة بعلاقة الابن مع أبيه .

وكما حفل الشعر العربي القديم بالعديد من القصائد أو المقطوعات التي لها علاقة مباشرة بالطفل وتربيته أو معاتبته أو بيان العاطفة تجاهه لم يخلُ النثر العربي القديم من الالتفات إلى موضوع الطفل وتربيته، فهذا الشاعر الجاهلي ذو الإصبع العدواني وهو من سادات العرب في الجاهلية يوصي ابنه أسيد ببعض الوصايا التي تخط له طريق المجد والسيادة بين أبناء قومه، يقول فيها: ((بابني إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سئم العيش، واني موصيك بما ان حفظته ، بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط وجهك لهم

يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوّدوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كباهم، ويكبر على مودتك صغارهم. واسمح بمالك واحم حريمك ، واعزز جارك، واعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فان لك أجلا لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة احد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك))[٤]

يبين لنا هذا النص النثري القديم أن الموصي قدم للابن مجموعة من قواعد السلوك ومكارم الأخلاق التي من شأنها أن تجعله يحظى بالسيادة بين أبناء قومه كما انه لم يغفل الإشارة إلى أن لكل إنسان أجلا لا يعدوه.

هذه صورة من صور التربية التي حفظها لنا الأدب العربي ، بينت لنا كيف كان العرب يتعاملون مع أبنائهم ويحاولون تنشئتهم تنشئة سليمة على وفق مبادئ تربوية لا تختلف كثيرا عن تلك المبادئ التي أكدها القران الكريم وهذا ما يتضح مما نقله القران الكريم من سير الأمم والأنبياء ووصاياهم لأبنائهم ، فقد نقل وصية النبي إبراهيم عليه السلام لبنيه:(ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون)[٥] ، كما نقل وصية لقمان لابنه ، قال تعالى : (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إليّ المصير وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يابني انها إن تك حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)[٦]

لقد ((صحبت التربيةُ الإسلامَ منذ بدء ظهوره وانتشار نوره على يد النبي(صلى الله عليه واله وسلم) الذي أرسله الله تعالى إلى الناس كافة يعلمهم أمور دينهم ودنياهم ، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم . فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم أول معلم في الإسلام . وقد قامت التربية الإسلامية منذ بدء ظهورها على أمرين : هما القران والسنة ، القران كتاب الله ، والسنة عمل النبي وأحاديثه)) [٧]

كان القران الكريم الكتاب الأول الذي يستقي منه المسلمون مبادئ التربية السليمة إلى جنب ما ورثوه من خزين أدبي وتربوي لا يتناقض مع ما جاء به الإسلام. ((ولم تنشأ الكتاتيب منذ ظهور الإسلام ، فالمعروف أن بلاد العرب في عهد النبي لم يكن فيها تعليم منتظم ، والمشهور أن العرب أميون . ولو أن هناك أخبارا تدل على غير ذلك .)) [٨]

ويستدل الدكتور احمد فؤاد الاهواني من قصة يوردها عن الخليفة عمر بن الخطاب أن ظهور المكاتب ليتعلم فيها الصبيان كان في عصر الفتوحات الإسلامية العظيمة ،وهي الفرس والشام ومصر وجزيرة العرب كلها . أما قبل ذلك فقد كان الإسلام لا يزال يجاهد في نشر العقيدة في جزيرة العرب التي كان مركزها مكة ثم المدينة)). [٩] ويرى الاهواني أن الإسلام حين ظهر لم تكن في بلاد العرب كتاتيب منتشرة ، يذهب إليها الصبيان ، وان الذين عرفوا القراءة والكتابة هم بضعة نفر من الطبقة الرفيعة ، تعلموا الكتابة بحكم صلتهم بغيرهم من الدول المجاورة كالفرس والروم ، ولحاجتهم إليها في التجارة . [١٠]

ويشير إلى أن تعليم الدين الإسلامي في عهد النبي كان شاملا للجميع ، صبيانا ورجالا ونساء ، وكان الغرض منه أن يحفظ الناس شيئا من القرآن وان يتعلموا ما يلزمهم في العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر الفرائض الإسلامية . واتبع المسلمون كافة السبل في الوصول إلى نشر دعوتهم فعلموا في دورهم ، وفي المساجد ، وفي كل مكان . ولم يفتهم الحث على تعلم الكتابة . [١١]

((وقد تطوع المسلمون الأوائل بالتعليم بدافع الروح الجديد . فلما انتشر الإسلام تعذر أن يقوم التعليم على التطوع ،وظهرت صناعة التعليم ، وتناول المعلمون الأجر، وأفتى الفقهاء بجواز ذلك .)) [١٢]

محمد بن سحنون والقابسي

بعد أن تطرق البحث إلى حال التربية قبل الجاحظ نحاول أن نعرض بإيجاز جهود العرب في المساهمة بترسيخ مبادئ التربية والتعليم والاهتمام بالنشء من خلال المصنفات الخاصة بهذا الشأن، وأول ما يمكن أن نبتدئ به هو كتاب (آداب المعلمين) وهو كتاب خاص بتعليم الصبيان فقط وهو مما دوَّن محمد بن سحنون المتوفى سنة (٢٥٦ هـ) عن أبيه. [١٣]

وكان لابن سحنون فضل الصدارة في تحرير كتاب خاص في تعليم الصبيان[١٤] وهو كتاب تربوي كان به صاحبه من رواد البحث في مسائل التربية والتعليم، وهو مصطبغ بالصبغة الفقهية، مشتمل على فتاوى لنوازل حدثت، وعلى إشارات لعادات جرت في عصر مؤلفه، مثل عادة رمي الفاكهة على الناس عندما يختم الطفل حفظ القرآن. [١٥]

ولد ابن سحنون في القيروان عاصمة الدولة الأغلبية في عهد ثالث أمرائها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١-٢٢٣هـ)، وعاصر ستة من أمراء هذه الدولة التي استقلت عن الخلافة العباسية ووطدت الأمن في إفريقية، وأسهمت في نشر الإسلام ودعم العربية، وشجعت العلماء وناصرتهم. [١٦]

ونأتي إلى أبي الحسن القابسي القيرواني (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) وهو من علماء القرن الرابع الهجري فقد كتب الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين، اعتمد فيها على كتاب ابن سحنون (آداب المعلمين) كثيراً ، ونقل عنه ، واسترشد به ، وترسم خطاه. [١٧] وهذا ما يؤكده احمد خالد محقق رسالة القابسي بقوله ((ومن دراستي لتلك الرسالة تبينت أن مؤلفها أعاد العديد من فقرات كتاب (اداب المعلمين) لمحمد بن سحنون بصياغة تكاد تكون مماثلة لصياغة الفقرات المنقولة من ذلك

الكتاب مضيفا إليها شروحا وتعاليق ضافية . غير أن القابسي كان حريصاً على النسق المنطقي في بناء النص وتسلسل ابوابه وفصوله فجمع في المساق المتماسك ما كان مبعثراً في كتاب ((آداب المعلمين)).[١٨]

ونادى في رسالته بأمرين سبق فيهما علماء التربية في الغرب الحديث، وهما أن التعليم حق لكل صبي وواجب على الدولة ، وهي مكلفة – إذا لم يكن أهله قادرين على الإنفاق عليه ودفع اجر معلم الكتاب – أن تنفق عليه من بيت مال المسلمين .أما الأمر الثاني فهو تعليم البنات، لان الدين الإسلامي عام لجميع الناس، وقد خاطب الله في كتابه العزيز المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، ولم يقصر الإسلام على الذكور دون الإناث. [١٩]

أما ابن سحنون فقد أشار إلى هذا الموضوع في كتابه(آداب المعلمين) بقوله : ((واكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان، لان ذلك فساد لهم)). [٢٠]، وقد اقتصر القابسي في هذه الرسالة على ذكر مرحلة تعليم الصبي ولم يتعرض إلى ما بعدها ، ولم يأت بإشارة إلى تعليم الصبي دون سن السادسة . وقد تصدى القابسي في رسالته للنواحي المختلفة في تعليم الصبيان فتعرض لإغراض التعليم والمناهج والعقاب وطرق التدريس ، وأحكام خاصة بالمعلم ، وبمكان التعليم وهو المعروف بالكتّاب . [٢١]

يخرج المرء من قراءة كتاب القابسي بصورة واضحة عن تعليم الصبيان في القرن الرابع الهجري ، ويقف عند أربعة أركان هي الكتاب والمعلم والصبي والقرآن وهي الأساس الذي يقوم عليه التعليم الأولي كما وصفه القابسي . [٢٢]

يرى الدكتور الاهواني ان كتاب القابسي أكمل كتاب في التربية والتعليم ، جاء بعد كتاب (آداب المعلمين) لابن سحنون . [٢٣] ((فإذا كان لابن سحنون فضل الصدارة في تحرير كتاب خاص في تعليم الصبيان فللقابسي مزية التوسع في هذا الموضوع ، والإفاضة في أبوابه المختلفة ،والترتيب الذي يدل على استقرار فكرة

التعليم في الذهن والعمل على بيان السبل المختلفة المؤدية إلى تحقيق الغاية المنشودة منه. فالقابسي يسجل في كتابه أحوال تعليم الصبيان في القرن الرابع ، وابن سحنون يدون هذه الأحوال في القرن الثالث)) [٢٤] وان رسالة أبي الحسن القابسي أتت متممة بشمول مواضيعها كتاب محمد بن سحنون. [٢٥]

ويشير الاهواني إلى أن فضل القابسي يتمثل في انه سبق غيره من العلماء العرب ممن افرد مؤلفات في التربية ، فقد ظهر في عالم التأليف في الإسلام من الفصول في التربية ما ترتفع قيمته من الناحية العلمية والفنية ، وما يجعل أصحاب هذه الآراء من رجال التربية البارزين ، ونخص بالذكر ابن مسكويه، المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، والغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ، ولكنهم جميعا متأخرون عن القابسي ، ولو انه كان متأخراً عنهم لتضاءل شأنه بالنسبة إليهم ، ولاقتضاه الزمن أن يأخذ عنهم، وينقل عنهم. أما وقد سبقهم فله فضل السبق ومزية التقدم[٢٦]

الغزالـــي :

ومن أعلام التربية البارزين أبوحامد الغزالي الذي ولد ونشأ بطوس عام ٤٥٠ هـ ودرس بها أصول العلوم الإسلامية [٢٧]. والتعليم كما يرى الغزالي من أفضل الصناعة التي يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة له، ويستدل على ذلك بكثير من الأدلة النقلية والعقلية، فمن الأدلة النقلية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في يوم فرأى مجلسين ، احدهما يدعون الله تعالى والثاني جماعة يعلمون الناس فقال الرسول الكريم ((أما هؤلاء فيسألون الله فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما))))[٢٨]

عرض أبو حامد الغزالي فلسفته التربوية في الجزء الثالث من كتابه إحياء علوم الدين ببيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم، وقد بين أن عقل الطفل أشبه بورقة بيضاء خالية من كل رسم أو صورة

وهو أمانة عند والديه يشاركانه في ثواب الخير إن سار على طريقه: ((اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبيان(كذا) أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه،فان عود الخير وعُلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له)) [٢٩] . إن الطبيعة العقلية والنفسية للطفل تجعل الغزالي يحمّل الوالدين مسؤولية عظيمة في تحديد اتجاهه إما نحو الخير أو نحو الشر، يقول الغزالي : ((فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى، فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا، وإنما أبواه يميلان به إلى احد الجانبين)) [٣٠]

فالطفل كما يرى الغزالي أمانة عند والديه وعلى قدر نوعية الخبرات والمثيرات التي يمتصها من أسرته، ينشأ سليم النفس طاهر العقل أو العكس بالعكس. ومغزى ذلك أن الغزالي يبرز أهمية البيئة الأسرية على تنشئة الطفل إما نحو الخير أو الشر، الفضيلة أو الرذيلة، الحق أو الباطل، الجمال أم القبح،العدل أم الظلم . [٣١]

فالغزالي حريص على أن يبين لنا أن الطفل في حاجة ماسة إلى الرعاية، ويكون ذلك بان تُهيأ له البيئة التي تنمي مواهبه، وتدعوه إلى سلوك الطريق القويم، بدلا من الإهمال أو إساءة تربيته وتعليمه، فينتهي به الأمر إلى الشر والجهل معا، كذلك نجده يفطن إلى أهمية مرحلة الطفولة التي تتحدد فيها شخصية الطفل فتكون لها آثارها البعيدة في حياته كلها.[٣٢]

ويؤكد الغزالي في فلسفته التربوية على أهمية الأسرة في تنشئة الطفل بوصفها حاملة لثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه، و((ليس من شك في أن أساليب التنشئة التربوية الإسلامية التي دعى إليها الغزالي تتسق وما تنادي به التربية العصرية والتي تعتبر أن المصدر الأساسي للتنشئة عند الأفراد هو ثقافة المجتمع الذي ينشأون

ويعيشون فيه، ومصدر القيم الثقافية السائدة في مجتمع ما، هو تاريخ الجماعة وتراثها التاريخي الذي نقله عن طريق التنشئة من جيل إلى جيل ، فالتنشئة هي وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الأساسية عرضا ، أي في الجيل الواحد، طولا، أي بتتابع الأجيال كما أنها تسهم في تعديل وتطوير ما يحتاج منها إلى تعديل وتطوير . وعن طريق التنشئة ، يكتسب الطفل القيم الأساسية والدعامات الأولى اللازمة لبناء ذاته وشخصيته وتحديد دوره في محيط الأسرة ، وتمثل الأسرة من ناحية ثقافة المجتمع بصفة عامة وتمثل من ناحية أخرى ، الثقافة الفرعية التي تنتمي إليها بصفة خاصة . وتعمل الأسرة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية ، على إكساب الطفل السلوك الذي يتوافق مع القيم التي تدين بها)) [٣٣]

أشار الغزالي في بيان الطريق في رياضة الصبيان إلى جملة من الواجبات التي يجب على الوالد القيام بها ، كما أكد جملة من الآداب التي يجب على الصبي أن يلتزم بها ، فمن واجبات الوالد أن يقوم برعاية الولد ويوجهه إلى طريق الخير وان لا يهمله إهمال البهائم ، فعليه أن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب إليه الزينة ، والرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد .[٣٤]

ويؤكد الغزالي ضرورة مراقبة الطفل وهو في مرحلة الحضانة والرضاع واختيار المرأة المتدينة التي توكل إليها هذه الوظيفة المهمة ، يقول الغزالي: ((بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال، فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث)) [٣٥]

ويتابع الغزالي طرح آرائه في التربية والتنشئة ويحدد الآداب التي يجب على الصبي أن يتحلى بها ومنها آداب الطعام ويُفصّل الغزالي فيها ، كما يفصل في آداب الملبس وما يجب أن يحبب إلى الصبي منه، ويصاحب الغزالي في وصاياه الطفلّ في

كل حركة من حركاته وفي كل فعل يقوم به ويقدم للوالد أو المربي النصائح التي يراها تفيده في تقويم خُلق الطفل، فمن المهم أن يكرم الطفل على الخلق الجميل والفعل المحمود ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس. وفي هذا يؤكد الغزالي اهتمامه بالجانب النفسي لدى الطفل، كما يرى من المهم أن يتغافل الوالد أو المربي عن الطفل إذا خالف الخلق الجميل مرة واحدة لان إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة ، فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه. (٣٦)

كما أكد اهتمامه بالجانب النفسي حينما أشار إلى أهمية اللعب بالنسبة للطفل وما يؤديه من دور في تنمية ذكائه ((وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا)) (٣٧) وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة التي اهتمت بعلم نفس الطفل، ولقد جاء رأي جون ديوي احد كبار فلاسفة التربية في العصر الحديث موافقا لرأي الغزالي السابق، وذلك أن الخبرة قد دلت على أن الأطفال، عندما تتاح لهم فرصة للنشاط البدني، تطلق العنان لدوافعهم الطبيعية ويجدون متعة في الذهاب إلى المدرسة، وتغدو قيادتهم عبئا اقل فداحة ويغدو التعلم أسهل. (٣٨)

إن من يقرا ما قدمه الغزالي من منهاج تربوي يلاحظ ما يتصف به من عمق وسعة وشمول لكل ما يتعلق بالطفل، فهو يغوص في أعماق نفس الطفل ويحاول أن يحللها، ويتوقع ردود فعله، وما يرغب فيه من الأشياء.

ابن جماعة :

ومن الأسماء الكبيرة في لائحة أعلام التربية الفقهية اللاحقة على فترة الغزالي ابن جماعة (ت ٧٧٣ هـ)، إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد الكناني، برهان الدين،

أبو إسحاق حموي الأصل، شافعي، مفسر وخطيب، ومن كبار شيوخ عصره . نشأ في دمشق، وسكن القدس، وولي الديار المصرية مرارا، ثم ولي قضاء دمشق والخطابة بها ومشيخة الشيوخ . تنسب إليه أعمال جليلة، وخدمات كثيرة للناس وله :(تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم) [٣٩] وقد رتبه على خمسة فصول كما يشير في فاتحته :

الباب الأول: في فضل العلم وأهله وشرف العلم ونبله.

الباب الثاني: في آداب العالم في نفسه ومع طلبته ودرسه.

الباب الثالث : في آداب المتعلم في نفسه ومع شيخه ورفقته ودرسه.

الباب الرابع : في مصاحبة الكتب ، وما يتعلق بها من الأدب

الباب الخامس : في آداب سكنى المدارس ، وما يتعلق بها من النفائس.)) [٤٠]

يرتكز كتاب ابن جماعة كما هو واضح من العنوان الذي وضعه له على ركنين أساسيين هما العالم والمتعلم، وما يجب أن يتصفا به من آداب مقصود بها الشروط والواجبات أو القواعد المثلى التي يجب انتهاجها لتأدية التعليم على أحسن وجه واكتساب التعلم بأفضل الأساليب وأكثرها ريعا. [٤١]

ابن خلدون :

ومن الأعلام البارزين في مجال التربية والتعليم عبد الرحمن بن الحسن بن خلدون الذي ولد في تونس عام ٧٣٢ هـ وتوفي في القاهرة عام ٨٠٨ هـ . [٤٢]

((لقد بدأ ابن خلدون حياته الفكرية بدراسة أصول الفقه على مذهب مالك، ودرس التفسير والحديث وتقلد في عدة مناصب في الدولة ثم اعتزلها حينما نشبت الفتن والصراعات في عاصمة دولة بني حفص فهاجر إلى تلمسان ثم بجاية ثم الأندلس ومنها إلى فاس ومصر، وعندئذ مل السياسة واعرض عنها وعكف على الدراسة والعلم))[٤٣] و((مما لاشك فيه أن آراء هذا العلاّمة التربوية، تدور في فلك فلسفته

العامة، للتاريخ وللعمران وغيرهما، لتتمحور حولها وتؤدي وظيفتها في أطار العمران البشري من ناحية، وفي إطار الفكر الإنساني من ناحية أخرى)) [٤٤]

يرى ابن خلدون أن الإنسان يشارك الحيوان بالغذاء والحس والحركة إلا انه قد تميز عنه بالفكر، هذا الفكر الذي يهتدي به إلى معاشه، والى الاجتماع والتعاون مع بني جنسه، ويقبل ما جاءت به الأنبياء والرسل عن الخالق للعمل به وإتباعه لصلاح آخرته. ويحاول هذا الفكر محاولة دائبة لتحصيل ما ليس عنده من ادراكات فيرجع بها إلى من سبقه بعلم أو من زاد عليه بمعرفة أو أدراك أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء. وهكذا ينتشر العلم والتعليم وبالتالي العمران البشري. [٤٥]

وقد عالج ابن خلدون في نظرية العمران البشري التي قدمها موضوع العلم والمعلم والمتعلم كما أورد جملة من الشروط التي يجب على المتعلم والمعلم على أن يتحليا بها ، ويوصي ابن خلدون بضرورة قيام التعليم على مبدأ الجدل والحوار بين المعلم والمتعلم ((فالحوار يساعد على تفتق الذهن واتساع المدارك وفك عقال اللسان الذي يكون بواسطته نقل العلم))[٤٦]. كما أكد على اختيار الأنسب للمتعلم من الفن الواحد، ومحاولة تقريب الأهداف للطالب وتوضيحها، ومراعاة مقدرة الطالب ومساعدته على الفهم، كما يقدم لنا ابن خلدون منهجية تعليمية وتربوية، يجد فيها صوابا في تعليم العلوم ونقلها، موضحا طرق الإفادة منها . [٤٧]

أصناف المعلمين وتصنيف العلوم عند الجاحظ

إن أهم ما يشير إليه الجاحظ وهو يتناول موضوع المعلم والتعليم هو الاختصاص في العلوم والآداب والفنون، فمما لاشك فيه أن في الناس حاجة إلى تعلم الكثير من الأشياء، و بتعدد تلك الأشياء المطلوب تعلمها تعددت اختصاصات المعلمين، وفي ذلك يقول الجاحظ: ((وجدنا لكل صنف من جميع ما بالناس إلى تعلمه حاجة معلمين)) [٤٨] وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم تلك الاختصاصات حسب طبيعة

المادة المطلوب تعلمها فمنها الفكرية ، ومنها العملية التي تعتمد الحركة وما يرتبط بالتربية الجسدية ، أما ما يتعلق بالاختصاصات الفكرية فهي العلوم الذهنية كالحساب والهندسة ((وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير، وما أشبه ذلك)) [٤٩]، وما يتعلق بالعقيدة والعبادات كالفرائض والقرآن وما يتصل بهما من علم النحو واللغة [٥٠]

لقد اجمع مفكرو العرب ممن كان لديهم اهتمام بتربية النشء على أن حفظ كتاب الله وفقهه يعد أول ما يؤخذ به التلميذ، وكان هذا المقياس هو ابرز المقاييس التي يقاس بها نجاح المعلم والمتعلم، [٥١] وكان ذلك من خلال الكتّاب أو الكتاتيب التي كانت تعد في العهود الإسلامية الأولى أشبه بالمدارس الأولية أو الابتدائية يتعلم فيها الصبيان القرآن والقراءة والكتابة، وبعض النحو والعربية والحساب. [٥٢] وكان الصبيان يذهبون مع الصباح إلى الكتّاب أو الكتاتيب يحملون الألواح التي يكتبون فيها الآيات القرآنية التي يحفظونها . وقد جرت العادة أن يكون معلم الكتّاب من الذين يحفظون القران والعلوم الدينية والفقهية فهو فقيه أتمَّ تعليمه على شيخه، واخذ منه إجازة بالتعليم . [٥٣] ويشير ابن سحنون (ت ٢٥٦ هـ) إلى ما يمكن أن يتعلمه الصبي في تلك العهود الإسلامية الأولى بقوله ((وينبغي أن يعلمهم الحساب، وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه، وكذلك الشعر، والغريب، والعربية، والخط ، وجميع النحو، وهو في ذلك متطوع . وينبغي أن يعلمهم إعراب القران وذلك لازم له ، والشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة، والتوقف، والترتيل، يلزمه كذلك. ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها، وليس ذلك بواجب عليه،(...) ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا)) [٥٤]

ويحدد ابن سحنون في قوله هذا ثلاثة مواقف أساسية للمهتمين بالتربية في تلك العهود الإسلامية الأولى، هي:

- موقفهم من تعلُّم الحساب. ورأوا أن المعلم غير ملزم بتعليمه للصبي إلا أن يُشترط ذلك عليه.

- موقفهم من تعلُّم الشعر إلى جانب تعلم الغريب ، والعربية ، والخط ، وجميع النحو ، ورأوا أن المعلم في ذلك متطوع. على أن لا يكون في الشعر فحش من كلام العرب

- موقفهم من تعلُّم القران الكريم وإعرابه . ورأوا وجوب ذلك على المعلم .

وذكر الجاحظ مجموعة من الوصايا التي تبين لنا بعض اتجاهات أو مواقف الآباء أو أصحاب الشأن والسلطان من المواد العلمية التي يجب على المعلم أو المربي أن يزود بها الأبناء أو التلاميذ منها ما كتبه عمرو بن الخطاب إلى ساكني الأمصار: ((أما بعد فعلموا أولادكم العومَ والفروسية، وروّوهم ما سار من المثل، وحسُن من الشعر)) .[٥٥]

لا يخفى أن في تقديم عمر بن الخطاب العومَ والفروسية على ما سار من المثل، وحسُن من الشعر دليلاً حياً على التكيُّفِ مع متطلبات عصره، لما كان يواجههم من مهام جسيمة في مرحلة تاريخية من مراحل الفتوحات الإسلامية .

ومن تلك الوصايا وصية الحجاج لمعلم ولده ((علم ولدي السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم)) [٥٦]

وقال ابن التوأم ، كما ينقل لنا الجاحظ : ((علم ابنك الحساب قبل الكتاب ، فان الحساب اكسب من الكتاب ، ومؤونة تعلمه أيسر ، ووجوه منافعه أكثر ... وكان ابن التوأم يقول : من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء ، أن يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة)) [٥٧]

ولا يخفى ما في هذه الأقوال من واقعية واتجاه إلى ما فيه تأمين المعاش و حفظ الحياة، فالسباحة لدى الحجاج مقدمة على الكتابة ، فتعلم السباحة كما يذكر الجاحظ هو ((تعلم ما ليس ينسى ، وليس الشيء من الحيوان عنه غنى)) [٥٨] والحساب لدى ابن التوأم اكسب من الكتابة. وفيه يقول الجاحظ ((وقد رأينا عمود صلاح الدين

والدنيا إنما يعتدل في نصابه ويقوم على أساسه بالكتاب والحساب)) [٥٩] .و ((إن البلوغ في معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل والترقي فيه والسبب إليه أرد عليه من البلوغ في صناعة المحررين ورؤوس الخطاطين، لأنَّ في أدنى طبقات الخط مع صحة الهجاء بلاغاً، وليس كذلك مع الحساب .)) [٦٠] .

وهنا يؤكد الجاحظ منهجه الواقعي في التربية حينما يرى أن تعلم الصبي الحساب انفع له من تعلم الخط لان في رداءة الخط مع صحة الهجاء بلاغا ، وليس كذلك الحال مع الحساب.

وعقد ابن خلدون في مقدمته فصلا عمّا يتعلمه الولدان بعنوان : (في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه) ، فبيَّن ((أنَّ تعليمَ الولدن للقرآن شعار الدين اخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبُقُ فيه إلى القلوبِ من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القران ، وبعض متون الاحاديث .وصارَ القرانُ اصلَ التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعدُ من الملكات . وسبب ذلك أنَّ التعليمَ في الصغر اشدُّ رسوخاً ، وهو اصل لما بعده ، لانَّ السابقَ الأوَّلَ للقلوب كالأساس للملكات .وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حالُ من يَبْني عليه)) [٦١] .

ويقول بعد ذلك ((واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان واختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات ، فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدانِ الاقتصارُ على تعليم القرآن فقط وأخذُهُم أثناء المدارسة بالرَّسم ومسائله واختلافِ حملةِ القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيءٍ من مجالس تعليمهم لا من حديثٍ ولا من فقهٍ ولا من شعرٍ ولا من كلامِ العرب إلى أن يحذُق فيه أو ينقطعُ دونَه فيكون انقطاعُهُ في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة ، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قُرى البربرِ أمم المغربِ في ولدانِهم إلى أن يجاوزوا حدَّ البلوغ إلى الشبيبة ، وكذلك في الكبير إذا رجّعَ مدارسة القرآن بعد طائفةٍ من عمره ، فهم لذلك أقومُ على رسم القرآن وحفظه من سواهم .

وأما أهل الأندلس فمذهبُهم تعليمُ القرآن والكتابِ من حيثُ هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم ، إلا انَّه لما كان القرآنُ اصلَ ذلك وأسّه ومنبعَ الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسلَ وأخذهُم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختصُّ عنايتُهم فيه بالخطِّ أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة ..

وأما أهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآنَ بالحديث في الغالب ومدارسةِ قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، إلا أن عنايتهم بالقران واستنظارَ الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه ، وعنايتهم بالخط تبعٌ ذلك . وبالجملة فطريقُهُم في تعليم القرآن اقربُ إلى طريقةِ أهل الأندلس .

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلُغُنا، ولا ادري بم عنايتهم منها ، والذي يُنقل لنا أنَّ عنايتَهم بدراسة القرآن وصحُف العلم وقوانينه في زمن الشَّبيبة ، ولا يخلطون بتعليم الخط ، بل لتعليم الخط عندهم قانونٌ ومعلمون له على انفراده كما تُتعلَّمَ سائرُ الصنائع ، ولا يتداولُونَها في مكاتب الصبيان ، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة ، ومن أراد تعلُّم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ، ويبتغيه من أهل صنعته)) [٦٢]

نلاحظ في هذا القول أن مذهب أهل المغرب في الولدان كما يشير ابن خلدون هو الاقتصار على تعليم القرآن فقط، على خلاف مذهب أهل الأندلس وأهل افريقية وأهل المشرق فجميعهم يخلطون في تعليمهم القرآن بغيره من العلوم، ونتفق مع ما يقدمه الدكتور محمد إبراهيم حوّر من تبريرٍ لهذا الخلط هو أن المعنيين بشأن التربية والتعليم قد تنبهوا إلى العبء الذي يتحمله الطفل وهو يزود بعلوم القرآن الصعبة ، لذا لحظناهم يحتالون لتيسيرها في مناهجهم التربوية، فدعوا إلى التلوين في المادة

والانتقال بها من الصعب إلى السهل ، ومن الجد إلى الهزل ،ومن كتاب الله تبارك وتعالى إلى الأخبار والقصص كي يخففوا عن الطفل ، ويزيلوا الملل من نفسه[٦٣]

وقد تنبه القاضي أبو بكر بن العربي الأندلسي المالكي (ت ٥٤٣ هـ) إلى ما في تقديم تعلم القرآن من مشقة على الطفل لذلك دعا إلى ضرورة الابتداء بتعلم الشعر فهو ديوان العرب ، وتعلم العربية ثم الانتقال إلى الحساب فيتمرَّنُ فيه حتى يرى القوانين ، ثم ينتقل إلى درس القرآن فانه يَتَيسَّرُ عليه بهذه المقدمة، ووصف ابن العربي أهل بلاده بالغفلة حين يؤخذ الصبيُّ بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهم وينصِبُ في أمرِ غيرهِ أهمَّ ما عليهِ[٦٤] . ولا شك في أن هذا التنبه ينبع من حسٍ سليم ومعرفة دقيقة بطبيعة الطفولة وخصائصها النفسية وما يلائمها من طرق مجدية في التربية والتعليم ، وهو الرأي الذي يتفق مع علم نفس الطفل الذي بنيت عليه الآراء السديدة في التربية الحديثة [٦٥].

وأبدى ابن خلدون موافقته على رأي أبي بكر بن العربي وفضله على غيره من الآراء إلا انه رأى سيطرة العادة على الناس وهي تقديم دراسة القرآن إيثارا للتبرك والثواب، فهي التي تجعله يقبل بالواقع مع انه يفضل رأي ابن العربي [٦٦] وفي ذلك يقول ابن خلدون: ((وهو لعمري مذهب حسن إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي املك بالأحوال . ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القران إيثاراً للتبرك والثواب...)) [٦٧] . ويأتي بعد حفظ القران من حيث الأهمية ما يتعلق بالعروض والأشعار والأخبار والآثار. [٦٨]

وقد أكد الجاحظ أهمية تلقين الطفل المأثور من الحكايات والتاريخ والحكم والأمثال والوصايا والعبر.وقد نبه إلى تلك الأهمية عندما أشار إلى ضرورة الابتعاد عن إشغال قلب الطفل من النحو ومسائله إلا بمقدار ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن : ((وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع.))[٦٩] ولا شك أن ما

قدمه لنا الجاحظ من الحكايات والأخبار والأمثال وغيرها من الفنون النثرية في كتبه ورسائله العديدة يؤكد اهتمامه بها بوصفها وسائط ثقافية تؤدي وضيفتها التوصيلية التثقيفية.

وهذا يشير إلى أن الفكر التربوي العربي القديم ((قد تنبه في إطار رعايته للطفولة لنقطة البداية في التكوين الأدبي للطفل ، وكانت قاعدة البداية الأولى التي انطلق منها تتشكل إرهاصتها وأصولها التراثية عند محور الفنون النثرية الموجهة للطفل. وقد اضطلع النثر بفنونه المتنوعة بمهمة التشكيل الوجداني والأخلاقي للناشئين عن طريق تلقينهم الحكايات القصصية بأنواعها ، والحكم والأمثال والمأثورات القولية والنوادر والألغاز وغيرها باعتبارها من الوسائل الفنية النثرية الموجهة للأطفال بهدف تربوي وأخلاقي وجمالي)) [٧٠] ولابد من الإشارة هنا إلى أن استقراء تاريخنا الأدبي يعطينا حقيقة هامة في مجال أدب الأطفال هي اهتمام العقل العربي بالأنواع القصصية الموجهة للطفولة. [٧١] ويُرجع بعض علماء النفس مرد إعجاب الأطفال بالقصص والحكايات إلى أنها لون من ألوان اللعب الإيهامي أو الرمزي الذي يحتاج إليه الأطفال الصغار احتياجا شديدا نظرا لتشبع الأطفال بعنصر الخيال وقدرتهم على التجسيد، فللإيهام وظيفة مهمة في نمو الطفل لأنه الوسيلة إلى تنظيم الكثير من نشاطاته ، وأساس لممارسة مهاراته الحركية ، وسبيله إلى اتصالاته الاجتماعية ومشروعاته الجماعية ، وطريقه إلى تنشيط تفكيره وفعالياته بدلا من أن تظل خاملة . ويرى عدد آخر من علماء النفس أن القصة إضافة إلى كونها لونا من اللعب الإيهامي فهي تشبه الحلم بالنسبة إلى الأطفال الصغار ، ففي القصة مجال لهم لإعادة الاتزان إلى حياتهم حيث يجدون في كل قصة شخصيات تشبه من بعيد أو قريب الشخصيات التي يقابلونها في الحياة ، والتي يتعاملون معها [٧٢]

إن القصة تسيطر على وسائط الثقافة، اذ تستهوي القصة الصغار كما تستهوي الكبار،فهي تدخل في مكونات وسائط ثقافة الطفل ، ويُجمع الدارسون على أهميتها التربوية ، اذ تنمي لدى الطفل المستمع عادة الاستماع ،والإنصات منذ حكايا الجدات والامهات ، كما انها تنمي خياله وتوسع مداركه وتكسبه القدرة على التعبير ، وتنمي ثروته اللغوية ، والفكرية ، وتحببه في القراءة . (٧٣)

ولا يغفل الجاحظ الإشارة إلى أهمية اللعب في حياة الطفل من خلال إشارته إلى مجموعة من الألعاب التي كانت سائدة في عصره وهو بصدد الحديث عن المعلمين وما يُعلمونه للأطفال، وهذا يعطي للعب في نظر الجاحظ مكانة مميزة لما له من علاقة بنمو الطفل ، فقد أثبتت الدراسات المهتمة بعلم نفس الطفل ما للعب من دور في نموه ، فالحرمان من اللعب يعيق النمو(٧٤)

إن لعب الأطفال هو أكثر من مجرد ترويح . بل هو يساعد على نمو الطفل في جميع النواحي ، فهو يسمح باستكشاف الأشياء والعلاقات بين الأشياء ، وهو يسمح له بالتدريب على الأمور الاجتماعية، وهو إلى جانب ذلك يخلصه من انفعالاته السلبية ومن صراعاته وتوتره ويساعده على إعادة التوافق ، كل ذلك دون ما مخاطرة أو تعرض لنتائج ضارة . (٧٥)

ذكر الجاحظ مجموعة من الألعاب التي كانت سائدة في عصره ولها ارتباط بالتربية الجسدية منها لعبة الصوالجة والرمي في التنبوك (القوس) والمجثمة (حيوان ينصب ويرمى ويقتل) والطير الخاطف، ورمي البنجكاز(لفظة فارسية – خمس أخشاب).وقبل ذلك الدبوق (لفظة عربية أصبحت غريبة بالنسبة لنا لعدم استعمالها وتعني : لعبة للصبيان) والنفخ في السبطانة (قناة جوفاء يرمى بها الطير) (٧٦) .

ومن أشكال التربية الجسدية الأخرى الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة(٧٧) ويمكن أن نعد بعضا من هذه الألعاب التي ذكرها الجاحظ من ضمن اللعب الفردي، وآخر ضمن اللعب الاجتماعي حسب

تقسيم عالم نفس الطفل شتيرن stern للعب إلى لعب فردي وآخر اجتماعي، ويتضمن اللعب الفردي السيطرة على الأشياء في ألعاب بناءة وهدامة ، وتحويل الأشياء والأشخاص بواسطة التشخيص . بينما يتضمن اللعب الاجتماعي ألعاب المحاكاة والقتال .[٧٨]

ويمكن ملاحظة أن بعضا من هذه الألعاب تأتي في مرحلة متقدمة من عمر الطفل حسب ذكر الجاحظ لها، لما تتطلبه من قوة البنية الجسدية، ((وكما أن النمو يسير في مراحل معينة كذلك فان اللعب، باعتباره متصلا اتصالا وثيقا بالنمو، يسير أيضا في مراحل معينة ، فالأشياء التي تثير اهتمام الطفل في الثانية من عمره تختلف عن تلك التي تثير اهتمام طفل في السادسة))[٧٩] ، وهذا يعني أن الجاحظ يأتي على ذكر الألعاب متسلسلة ليوافق كلٌّ منها مرحلة من المراحل العمرية التي يمر بها الطفل .

وهناك من الألعاب ما لا يحتاج إلى قوة جسدية بقدر ما يحتاج إلى الفطنة والنباهة ومنها لعبة الشطرنج التي يصفها الجاحظ بأنها ((أشرف لعبةٍ وأكثرها تدبيراً وفطنة.))[٨٠]

لا شك أن اهتمام الجاحظ بالإشارة إلى اللعب وأهميته في حياة الطفل عائد إلى ((أن اللعب في الطفولة وسيط تربوي يعمل بدرجة هائلة على تشكيل الطفل في هذه المرحلة التكوينية الحاسمة من النمو الإنساني ، ولا يرجع مصدر هذه الأهمية إلى أن الطفل يقضي معظم وقته في اللعب الذي يستثير اهتمامه والى انه قليلا ما ينغمس في النشاط العملي للكبار ، وإنما إلى أن اللعب تتمخض عنه تغيرات كيفية في التكوين النفسي للطفل (...) واللعب أيضا مدخل أساسي لنمو الطفل عقليا ومعرفيا ، وليس لنموه اجتماعيا وانفعاليا فقط))[٨١]

ومن العلوم الأخرى التي يرى الجاحظ أنها تحتاج إلى معلمين علم ((النجوم وبروجها وحسابها الذي يعرف به الأوقات والأزمنة وعليها مزاج الطبائع وأيام

السنة.))[٨٢] وعلم الموسيقى و ((اللحون ومعرفة أجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها ووزنها حتى يستوي على الإيقاع ويدخل في الوتر)) [٨٣] فضلا عن ((ضرب الدفوف وضرب الأوتار والوقع والنفخ في أصناف المزامير))[٨٤] ويمكن أن ندخل هذه العلوم تحت مفهوم التربية الفنية الجمالية .

أما أبناء الرعية فليس لهم نصيب من التعليم إلا ((الفلاحة والنجارة والبنيان والصياغة والخياطة والسرد والصبغ وأنواع الحياكة)). [٨٥] ، وفي هذا القول يشير الجاحظ إلى اتجاه موجود في المجتمع العربي في ذلك الوقت، يحدد المواد التعليمية التي يجب أن تعطى لكل طبقة من طبقات المجتمع فالعلوم التي يتلقاها أبناء الطبقة العليا من الخلفاء والخاصة من القوم غير التي يتلقاها أبناء الرعية ، وهذا الاتجاه هو الذي نظر لأصحاب الصناعات والحرف بعين الاستحقار، فرأى ((الحمق في الحاكة والمعلمين والغزالين .. والحاكة اقل من أن يقال لها حمقى . وكذلك الغزالون، لان الأحمق هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجئ بخطأ فاحش والحائك ليس عنده صواب جيد في فعل ولا مقال ، إلا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب ، وليس من هذا في شيء)) [٨٦]

وعلى هذا الأساس فهناك من المعلمين من قام بتعليم العامة (أبناء الرعية) كما يرى الجاحظ، ومنهم من قام بتعليم أبناء الطبقة العليا من القوم، وهم ((على ضربين: منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة)) [٨٧]

إن الجاحظ يتعامل مع موضوع أهل الصناعات والحرف تعامل عالم الاجتماع الذي يتخذ مبدأ الواقعية منهجا له، فهو يرى ((أن الأساس الذي بُنيت عليه المجتمعات البشرية منذ القدم ولا تزال وسوف تبقى إلى أخر الدهر هو (حاجة الناس بعضهم إلى البعض) ، هذه الحاجة هي التي تدفعهم إلى التعاون فيما بينهم والتوازر على بلوغ ما يعيشهم ويحييهم ، ومعرفة ما يضرهم ، لتجنبه ودفعه... ولا يعتقد

الجاحظ أن أي إنسان مهما كان شأنه يستطيع أن يبلغ حاجته بنفسه دون الاستعانة بسائر الناس))[٨٨] وهذا ما يشير إليه بقوله : ((ثم اعلم رحمك الله تعالى ، أن حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة في طبائعهم ، وخِلقةٌ قائمةٌ في جواهرهم وثابتةٌ لا تزايلهم ومحيطةٌ بجماعتهم ومشتملةٌ على أدناهم وأقصاهم ... لم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخَّر له . فأدناهم مسخَّرٌ لاقصاهم واجلُّهم ميسَّرٌ لأدقهم ، وعلى ذلك أحوج الملوكَ إلى السوقة ، في باب ، وأحوج السوقة إلى الملوك في باب ، وكذلك الفقير والغني ، والعبد وسيده)) [٨٩]

ونجده يؤكد رأيه هذا في موضع آخر من رسائله بقوله: ((فالخاصة تحتاج إلى العامة كحاجة العامة إلى الخاصة)) [٩٠] ، ومن العامة أصحاب الصناعات والحرف الذين نظر إليهم المجتمع باحتقار إلا أننا نجد الجاحظ يؤكد أهمية منزلة طبقتهم بين طبقات المجتمع الأخرى فبوجودهم صلاح المعاش، ((لأن الناس لو رغبوا كلهم عن عار الحياكة لبقينا عراة. ولو رغبوا بأجمعهم عن كد البناء لبقينا بالعراء. ولو رغبوا عن الفلاحة لذهبت الأقوات ولبطل أصل المعاش.))[٩١] ، وكأن الجاحظ في آرائه هذه حول أصحاب الصناعات والحرف يعيد إلى العامة أو الرعية ومعلميهم قيمتهم الاجتماعية بوصفهم جزأ لا يمكن لأي مجتمع أن يستغني عنه .

وكما نجد للفلاحة والنجارة والبنيان والصياغة والخياطة وأنواع الحياكة معلمين نجد ناسا ((علَّموا البلابل وأصناف الطير الألحان وناساً يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكية والببغاء والسقر وغراب البين، ويعلمون الإبل والخيل والبغال والحمير والفيلة أصنافَ المشي وأجناس الحضر ويعلمون الشواهين والصقور والبوازي والفهود والكلاب وعناق الأرض الصيد. ويعلمون الدواب الطحن والبخاتي الجمز حتى يروضوا الهملاج والمعناق بالتخليع وغير التخليع وبالموضوع والأوسط والمرفوع)).

وبهذا يقدم لنا الجاحظ أصنافا من المعلمين الذين لا يمكن لأي مجتمع أن يستغني عنهم لارتباطهم الوثيق بالعلوم التي يحتاجها المجتمع وفيها صلاح حاله ومعاشه وبهذا يكون الجاحظ قد دافع عن فئة المعلمين بصورة غير مباشرة عندما بين أهمية أصحاب الصناعات ، ودافع عنهم بشكل مباشر وصريح عندما رد على من وصفهم بالحمق بقوله ((فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي ، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب ، وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى . ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم . فان ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى فان لكل قوم حاشية وسفلة ، فما هم في ذلك إلا كغيرهم . مثل الكميت بن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ،وقيس بن سعد، وعطاء بن أبي رباح ، ومثل عبد الكريم بن أبي أمية ، وحسين المعلم ،وأبي سعيد المعلم)) [٩٢]

ويعدد الجاحظ أسماء من عرفهم من المعلمين ويؤكد علو مراتبهم في العلوم بقوله ((وأنت –حفظك الله – لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفروضيين والحساب والخطاطين لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار ، فكم تظن أنا وجدنا منهم ، من الرواة والقضاة والحكماء ، والولاة من المناكير والدهاة ، ومن الدهاة ، ومن الحماة والكفاة ، ومن القادة والذادة ، ومن الرؤساء والسادة ، ومن كبار الكتاب والشعراء ، والوزراء والأدباء ، ومن أصحاب الرسائل والخطابة ، والمذكورين بجميع أصناف البلاغة ، ومن الفرسان وأصحاب الطعان ، ومن نديم كريم ، وعالم حكيم ، ومن مليح ظريف ، ومن شاب عفيف)) [٩٣] ويشير إلى ابن المقفع بقوله : ((ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين: عبد الله بن المقفع ويكنى أبا عمرو وكان يتولى لآل الأهتم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير. وكان جواداً فارساً جميلاً وكان إذا شاء أن يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام. ولم يكن يحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً، وكان ضابطاً لحكايات المقالات))[٩٤]

ولا أرى أوضح دفاع يقدمه الجاحظ عن المعلمين وينتصر لهم من دفاعه حين يقول : ((وليس علينا لأحد في ذلك من المنة بعد الله الذي اخترع ذلك لنا ودلنا عليه وأخذ بنواصينا إليه، ما للمعلمين الذين سخرهم لنا، ووصل حاجتهم إلى ما في أيدينا. وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم وحاججتهم وفحشت عليهم، وألزمت الأكابر ذنب الأصاغر، وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين، ورثيت لآباء الصبيان من إبطاء المعلمين عن تحذيقهم، ولم ترث للمعلمين من إبطاء الصبيان عما يراد بهم، وبعدهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه، والمعلمون أشقى بالصبيان من رعاة الضأن وروَّاض المِهارة. ولو نظرتَ من جهة النظر علمت أن النعمة فيهم عظيمةٌ سابغةٌ والشكرُ عليها لازمٌ واجبٌ.))[٩٥]

ويكفي المعلم من علو المنزلة أن اسمه كما يرى الجاحظ مشتق من العلم ، أما المؤدب فقد اشتق من الأدب والعلم هو الأصل ، والأدب هو الفرع ، والعلم هو اصل لكل خير. [٩٦]

و((يبرز في منهاج الجاحظ التربوي اهتمامه بالأهداف العملية للتعليم والتربية كإعداد الصبي وتهيئته للعمل في صحبة السلطان)) [٩٧]، وفي ذلك يقول : ((فإن زعموا أن أصحاب السلطان بعَرَض مكروهٍ فليعلموا أن كلَّ مسافرٍ فبعَرَض مكروهٍ وقد قال بعض الحكماء: " المسافر ومتاعه على قلّتٍ إلا من حفظ الله " يعني على هلاك)) [٩٨] .

تعامل المعلم مع الطفل

يؤكد الجاحظ ضرورة اعتماد مبدأ الوسطية عند التعامل مع الطفل وتربيته وتعليمه بقوله : ((وبعد هذا فإني أرى ألا تستكرهه فتبغّض إليه الأدب ولا تهمله فيعتاد اللهو.))[٩٩] ، ونجده يشير إلى جانب مهم يتعلق بنجاح مهمة المربي هو ملاحظة ما يتخذه الصبي من الأصحاب فضلا عن محاولة إشغال فراغ الطفل بما ينفعه من العلم بقوله: ((على أني لا أعلم في جميع الأرض شيئاً أجلب لجميع الفساد

من قرناء السوء والفراغ الفاضل عن الجَمام. درِّسه العلم ما كان فارغاً من أشغال الرجال ومطالب ذوي الهمم.)) [١٠٠] وهذا ما أشار إليه الغزالي بعد الجاحظ بقوله: ((واصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء)) [١٠١] ويشدد الجاحظ على الجانب النفسي لدى الطفل وما يجب أن يراعيه المعلم أو المربي عند التعامل معه فهو يدعوه إلى أن يكون أحبَّ من أم الطفل إليه، ولا يخفى ما يعنيه هذا القول من عظيم الجهد الذي لا بد أن يبذله المعلم للوصول إلى مثل هذه المنزلة من الطفل: ((واحتلْ في أن تكون أحبَّ إليه من أمِّه)) [١٠٢] . لا بد من الالتفات إلى الطريقة التي يحاول من خلالها المعلم أو المربي أن يوصل ما عنده من ضروب العلم والمعرفة إلى الطفل فليس هناك فاصل كما يرى الجاحظ بين ما يمكن أن يكنه الطفل من المودة لمعلمه أو مربيه وبين الطريقة التي يتلقى من خلالها ما يزوده بها فقد يكون سوء الطريقة سببا لنفور الطفل وكراهته لما يتلقاه من معلمه، ولا يفوت الجاحظ أن يشير إلى المغريات المادية التي يستطيع من خلالها المعلم أو المربي أن يشجع الطفل على الإقبال على التعلم وتدفعهم ، ومن تلك المغريات أو المشجعات المالُ الذي يجب أن يُعطى بمقدار هو بين الإفراط والتفريط ، يقول الجاحظ : ((ولا تستطيع أن يمحضك المِقَة، ويصفي لك المودة مع كراهته لما تحمل إليه من ثقل التأديب عند من لم يبلغ حالَ العارف بفضله. فاستخرج مكنون محبته ببرِّ اللّسان وبذل المال. ولهذا مقدار من جازه أفرط. والإفراط سرف. ومن قصر عنه فرط والمفرط مضياع.)) [١٠٣] . ويذكرنا هذا القول بما أعلنه الغزالي من ضرورة إكرام الصبي على الفعل المحمود حيث قال : ((ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس ، فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ...)) [١٠٤]، فتكريم الأطفال ومحاولة ترغيبهم بالتعليم من الوسائل التي دعا إليها المفكرون العرب الذين اهتموا بالنشء وتربيته منطلقين من أساس علمي تحكمه

الطبيعة النفسية للطفل ، فـ((قد دلت الدراسات النفسية على أن الأطفال يحاولون التهرب من الأعمال التي تعلو عن مستواهم ، بينما نجدهم يثابرون على العمل إذا شعروا بقدرتهم على النجاح ، والمواد التعليمية التي تناسب الأطفال ، ويكون لها معنى في أذهانهم ، تساعد على تنمية معلوماتهم وزيادة خبراتهم ، وتحقيق الكثير من الأهداف التي من أهمها : إحداث نمو وتطوير في شخصيات الأطفال في الاتجاه الاجتماعي المرغوب فيه)) [١٠٥] . ويخاطب الجاحظ المربي أو الأب مشدداً الجاحظ على أهمية المضي لتحقيق الهدف المرجو من تلك الوسائل التي يتبعها المربي بالرغم مما تتطلبه من جهد وصبر إذ يقول : ((ولا تستكثرن هذا كله فإن بعض النعمة فيه تأتي على أضعاف النعامة والذي تحاول من صلاح أمر من تؤمل فيه أن يقوم في أهلك مقامك وإصلاح ما خلفت كقيامك لحقيق بالحيطة عليه وبإعطائه المجهود من نفسك.)) [١٠٦] .

الطفل والتعبير :

ومن الأمور المهمة التي أكدها الجاحظ ضرورة أن يكون المعلم قادرا على التعامل مع الطفل وتقمص شخصيته ليكون له اقرب ، ولا باس أن يضحي المعلم بفصاحته من اجل تحقيق هذا الهدف ، وقد أكد الجاحظ علو مقام الفصاحة وأهلها عنده بقوله ((وأنا أقول : إنه ليس في كلام في الأرض هو أمتع ولا آنق ، ولا ألذ في الأسماع ، ولا اشد اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ، ولا أجود تقويما للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماء البلغاء)) [١٠٧] ، إلا انه يرى أن هناك مواضع يضطر فيها المتكلم إلى الميل عن التمسك بالحديث الذي هو اشد اتصالا بالعقول السليمة عندما يكون موجها إلى طبقة من الناس هم الأطفال وبتعبير أرسطو إن ((لكل طبقة وعادة أسلوب ملائم لها ، واقصد بالطبقة : العمر : طفل ، رجل ، شيخ عجوز، والجنس : ذكر أو أنثى ،...))[١٠٨] . وقد أشار الجاحظ إلى هذا المعنى في موضع حديثه عن شروط اللفظ بقوله:((وكما لا ينبغي

أن يكون اللفظ عاميا ، وساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا ، فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات)) [١٠٩] وأكد هذا الرأي في موضع آخر من مؤلفاته بقوله: ((وقد قالوا: الصبي عن الصبي أفهم وبه أشكل. وكذلك الغافل والغافل والأحمق والأحمق والغبي والغبي والمرأة والمرأة. قال الله تبارك وتعالى: " ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ". لأن الناس عن الناس أفهم وإليهم أسكن. فمما أعان الله تعالى به الصبيان أن قرب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول المعلمين. وسمع الحجاج - وهو يسير - كلام امرأة من دار قوم فيه تخليط وهذيان فقال: مجنونة أو ترقص صبياً! ألا ترى أن أبلغ الناس لساناً وأجودهم بياناً وأدقهم فطنة وأبعدهم روية لو ناطق طفلاً أو ناغى صبياً لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان والشبه لمخارج كلامهم وكان لا يجد بداً من أن ينصرف عن كل ما فضله الله به بالمعرفة الشريفة والألفاظ الكريمة. وكذلك تكون المشاكلة بين المتفقين في الصناعات.))[١١٠] . فـ ((الشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله)) [١١١] فيجب ان يتصف الخطاب الموجه إلى الأطفال بالوضوح وبساطة اللغة من حيث المفردات والتراكيب، والوضوح والبساطة لا تعني البدائية أو السذاجة إطلاقا ، فالجملة القصيرة اشد قربا من الطفل ، لان الطفل يريد من الجملة نتيجة سريعة ، ويريد من تراكيبها ان تكون واضحة ، لأنه لا يحمل نفسه مشقة الاستنتاج ، ويفضل ان يتسلم النتائج جاهزة ، في كثير من الأحيان، يجب علينا ان لا نجعل الطفل يقف محتارا أمام الكلمات والتراكيب ليسأل نفسه من معانيها .. ومن يضمن لنا ان يتساءل الأطفال ذلك التساؤل . [١١٢]

ويلاحظ أن هذا الموقف الذي يتبناه الجاحظ هو امتداد لنظريته العامة في البيان إذ لا يفصل الجاحظ بين أقدار المعاني وبين أقدار المستمعين وهذا ما يشير إليه في قوله : ((وينبغي للمتكلم أن يعرف اقدر المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار

المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)) [١١٣]. ويؤكد الجاحظ ضرورة تعليم الطفل مهارات الكتّاب في الكتابة متمثلة باعتماد اللفظ السهل والابتعاد عن المستغلق من المعاني بقوله : ((ثم خذه بتعريف حجج الكتّاب وتخلصهم باللفظ السهل القريب المأخذ إلى المعنى الغامض. وأذقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية وحذره التكلف واستكراه العبارة فإن أكرم ذلك كله ما كان إفهاماً للسامع ولا يحوج إلى التأويل والتعقب ويكون مقصوراً على معناه لا مقصراً عنه ولا فاضلاً عليه. فاختر من المعاني ما لم يكن مستوراً باللفظ المتعقد مغرقاً في الإكثار والتكلف، فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد أن يتسق له القول وما زال المعنى محجوباً لم تكشف عنه العبارة. فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغواً وظرفاً خالياً.)).[١١٤] ويلاحظ هنا أن ((حرص الجاحظ على وضوح المعنى نابع من حرصه الشديد على إيصال المعمى للقارئ والسامع من اقرب الطرق)) [١١٥] فالجاحظ يدعو إلى اعتماد اللفظ السهل والابتعاد عن كل معنى مستغلق وهذا ما يؤكده على لسان بشر بن المعتمر بقوله : ((وإياك والتوعر فان التوعر يُسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك)) [١١٦] . وقد أوضح عبد القاهر الجرجاني هذا المعنى بقوله : ((والمعقد من الشعر والكلام لم يُذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة ، بل لان صاحبه يعثر فكرك في متصرفه ويشيك طريقك إلى المعنى ويوعر مذهبك نحوه، بل ربما قسم فكرك ، وشعب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصل وكيف تطلب)) [١١٧]. ويرى الجاحظ أن الأساس في صناعة الكلام هو أن يهيئ المتكلم المعنى قبل اللفظ فـ ((شرُّ البلغاء من هيَّأ رسم المعنى قبل ان يهيء المعنى ، عشقا لذلك اللفظ ، وشغفا بذلك الاسم، حتى صار يجرُّ اليه المعنى جراً ، ويلزقه به الزاقاً ، حتى كأنَّ الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره ، ومنعه الإفصاح عنه

إلا به (...) ومن قرأ كتب البلغاء وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعاني فهو على سبيل صواب. ومن نظر فيها ليستفيد الألفاظ فهو على سبيل الخطأ)) [١١٨]. فالمعنى هو المهم عند الجاحظ ، ما دام اللفظ في خدمة المعنى ، والمعنى روح تسكن جسما هو اللفظ . [١١٩]. وليس هذا ببعيد عن تلك الوصية التي أوصى بها الجاحظ الكتَّاب على لسان بشر بن المعتمر، وليس ببعيد عن أولى المنازل التي ذكرها بشر بقوله: ((فكن في ثلاث منازل ، فأن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت)) [١٢٠] ، وهذا يعني أن الجاحظ اهتم بالطفل بوصفه متلقيا عندما أشار إلى ضرورة تقمص المعلم لشخصية الطفل ليكون إليه اقرب، لان الصبي عن الصبي أفهم. كما اهتم بتهيئة الطفل لان يكون كاتبا ومبدعا عندما أوصى بتعريفه حجج الكتّاب.

ماذا يحتاج الطفل من النحو:

دعا الجاحظ المربين والمسؤلين عن التنشئة إلى تعليم الطفل من النحو ما يعود عليه بالفائدة ، ورأى ضرورة الابتعاد به عما لا يحتاجه منه: ((وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع. وإنما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصار فيه من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبر ولمصالح العباد والبلاد والعلم بالأركان والقطب الذي تدور عليه الرحى ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه. وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر إلى شيء)) [١٢١] واضح في هذا القول أن الجاحظ يدعو إلى تعليم الناشئة النحو الوظيفي الذي يجري في المعاملات، فالغاية من تعليم النحو، كما يرى الجاحظ ، هي إصلاح اللسان والقلم

في كتاب يُكتب أو شعر يُنشد أو خطبة تُلقى أو رسالة تُؤلف ، فالجاحظ يدعو إلى ضرورة التمييز بين مستويين من مستويات النحو:

الأول : مستوى نظري تخصصي، وينبغي أن يكون مجردا عميقا يدرس لذاته وتلك طبيعته . وهذا المستوى من النحو يعد نشاطا قائما برأسه، أهدافه القريبة الخاصة به هي الاكتشاف المستمر والخلق والإبداع.

الثاني : هو مستوى تعليمي نافع لتقويم اللسان وسلامة الخطاب وأداء الغرض وترجمة الحاجة .

فالنحو كما يُفهم من إشارة الجاحظ وسيلة لضبط الكلام وصحة النطق والكتابة .

الحفظ والاستنباط :

يجب على المعلم كما يرى الجاحظ أن يدرب تلاميذه على فهم ما يقرأون ولا يكون همهم منصباً على الحفظ دون الفهم لما يقرأون، فالجاحظ من أنصار الاستنباط ، وهو ما يمليه عليه اتجاهه المناصر للعقل وهذا واضح اشد الوضوح من خلال قوله : ((وكرهت الحكماء الرؤساءُ، أصحابُ الاستنباط والتفكير، جودةَ الحفظ، لمكان الاتّكال عليه، وإغفال العقل من التمييز، حتى قالوا: (الحفظ عِذقُ الذهن) لأن مستعمل الحفظ لا يكون إلا مقلداً، والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه إلى برد اليقين، وعزّ الثقة. والقضية الصحيحة والحكم المحمود : أنّه متى أدام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط، ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ ، وإن كان الحفظ أشرف منزلة منه . ومتى أهمل النظرَ لم تسرع إليه المعاني، ومتى أهمل الحفظ لم تعلق بقلبه، وقلّ مكثُها في صدره . وطبيعة الحفظ غير طبيعة ألاستنباط والذي يعالجان به ويستعينان متّفقٌ عليه ألا وهو فراغ القلب للشيء، والشهوة له، وبهما يكون التمام وتظهر الفضيلة. ولصاحب الحفظ سبب آخر يتّفقان عليه، وهو الموضع والوقت فأما الموضع فأيهما يختاران إذا أرادا ذلك الفَوْق دون السِفْل. وأما الساعات فالأسحار دون سائر الأوقات، لأن ذلك الوقت قبل وقت الاشتغال، وبعقب تمام الراحة والجَمام

، لأن للجمام مقداراً هو المصلحة، كما أن للكدّ مقداراً هو المصلحة.)) [١٢٢] ، وهنا يوصي الجاحظ بمكان ووقت الحفظ ، فالمكان الخالي الهادئ أفضل من المكان المكتظ الصاخب ، أما الوقت فوقت الأسحار أفضل من سائر أوقات الليل والنهار. [١٢٣] ويؤكد الجاحظ أهمية راحة الجسد وخلو البال في عملية الإبداع بقوله : ((خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك ، فان تلك الساعة اكرم جوهرا ، واشرف حسبا ، واحسن في الاسماع ، واحلى في الصدور ، واسلم من فاحش الخطاء ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ، ومعنى بديع)) [١٢٤] نلاحظ بشكل واضح وجلي تأكيد الجاحظ أن عملية الإبداع تعتمد على أركان عدة منها اختيار المعنى واختيار اللفظ واختيار الوقت والمكان المناسبين ، الى جانب العامل النفسي الذي يشير اليه الجاحظ بعبارة (فراغ البال) ، كما يعطي لراحة الجسد أهميتها في تحقيق ذلك الهدف المتمثل بالإبداع ، ويجب على المعلم أن يراعي كل ذلك وهو يقوم بأداء دوره التعليمي والتربوي كما يُفهم من إشارات الجاحظ .

رسالة التربوي إرشاد الناس

يؤكد الجاحظ ضرورة القيام بعملية توجيه الناس وإرشادهم وإن لم يُقدرّوا ما يُقدم إليهم أو يعرفوا فضله فـ ((من شُكر المعرفة بمغاوي الناس ومراشدهم ومضارِّهم ومنافعهم أن تحتمل ثقل مؤونتهم في تعريفهم وأن تتوخَّى إرشادهم وإن جهلوا فضْل ما يُسدي إليهم. ولم يُصنِ العلم بمثل بذله ولم يُستْبق بمثل نشره)) . [١٢٥]

فلا بد كما يرى الجاحظ من وجود المرشدين والمؤدبين حتى لا يُترك الناس لشهواتهم لـ((أنَّ الناس لو تركوا وشهواتهم وخلوا وأهواءهم وليس معهم من عقولهم إلا حصة الغريزة ونصيب التركيب ثم أخلوا من المرشدين والمؤدبين والمعترضين بين النفوس وأهوائها وبين الطبائع وغلبتها من الأنبياء وخلفائها لم يكن في قوى عقولهم ما يداوون به أدواءهم ويجبرون به من أهوائهم ويقوون به لمحاربة طبائعهم ويعرفون به جميع مصالحهم.)). [١٢٦]

ومن اجل أن يجد الجاحظ مبررا معقولا لمبدأ الثواب والعقاب فلا بدا له أن يقر بحرية العباد واستعدادهم الفطري لقبول التلقين فـ((لولا أن في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإرشاد لكانوا هملاً ولتركوا نشراً وحشراً ولسقط عنهم الأمر والنهي. ولكنهم قد يفضلون بين الأمور إذا أوردت عليهم وكفوا مئونة التجربة وعلاج الاستنباط . ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبد برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة)). [١٢٧]

العامل النفسي والإرشاد :

يدعو الجاحظ إلى ضرورة مراعاة العامل النفسي عند القيام بمهمة التوجيه والإرشاد من خلال التأكيد على أن يكون الإرشاد والتوجيه من خلال الكتب بعيدا عن الاحتكاك المباشر مع من يحتاجون إليه ، يقول الجاحظ: ((على أنَّ قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم إذْ كان مع التلاقي يكثر التَّظالم وتُفرط النُّصرة وتشتدُّ الحميَّة. وعند المواجهة يُفرط حبُّ الغلبة وشهوة المباهاة والرِّياسة مع الاستحياء من الرجوع والأنفة من الخضوع. وعن جميع ذلك تحدث الضَّغائن ويَظْهر التّباين وإذا كانت القلوب على هذه الصِّفة وهذه الحلْية وليست في الكتب عِلَّةٌ تمنع من درْك البُغية وإصابة الحُجّة لأنَّ المتوحِّد بقراءتها والمتفرِّد بفهم معانيها لايُباهي نفسه ولا يغالب عقْله.))[١٢٨]

ومع ما للعلم من جلال وتقدير عند الجاحظ يدعوانه إلى إنزاله منزله الروح من البدن نجده يؤكد ضرورة مراعاة الطبيعة الإنسانية وقدرتها على الأخذ منه فـ ((العلم وإن كان حياة العقل كما أنَّ العقل حياة الروح والرُّوح حياة البدن فإنَّ حكمه حكم الماء وجميع الغذاء، الذي إذا فضل عن مقدار الحاجة عاد ذلك ضرراً. وإنَّما يسوغ الشَّراب ويستمرأ الطَّعام الأوّل فالأوّل فكذلك العلم يجري مجراه ويذهب مذهبه ومن شأن النُّفوس الملالة لما طال عليها وكثر عندها.))[١٢٩] .

يشير الجاحظ إلى هذه السمة في الطبيعة الإنسانية وهو لا ينسى انه يخاطب في رسالته سلطانا من محبي العلم وقد وصفه بأنه السوق التي يجُلب إليها ما ينفق فيها وقد نظر الجاحظ إلى هذه السوق فلم ير فيها شيئاً ينفق إلا العلم والبيان عنه وإلا العمل الصالح والدعاء إليه وإلا التعاون على مصلحة العباد ونفي الفساد عن البلاد. (١٣٠) وخاطبه بقوله : ((وأنت أيّها العالم معلم الخير وطالبه والداعي إليه وحامل الناس عليه من موضع السلطان بأرفع المكان لأن من جعل اللّه إليه مظالم العباد ومصالح البلاد وجعله متصفحاً على القضاة وعتاداً على الولاة ثم جعله الله منزع العلماء ومفزع الضعفاء ومستراح الحكماء فقد وضعه بأرفع المنازل وأسنى المراتب)) (١٣١) فإذا كانت الملالة تتسرب إلى نفس من كانت هذه صفته فهي أولى أن تتسرب إلى نفوس من هم دونه قدراً وشاناً ولا يرى الجاحظ في ذلك انتقاصا من سمو شأن مخاطبه ، فهو يبين له أنه يقوم بعرض حقائق علمية تتعلق بالطبيعة الإنسانية أو كما يدعوها بـ (طبائع البشر) بقوله : ((فليس لنا أن نكون من الأعوان على ذلك ومن الجاهلين بما عليه طبائع البشر فإنَّ أقواهم ضعيفٌ وأنشطهم سؤوم وإن كانت حالاتهم متفاوتة فإنَّ الضَّعف لهم شامل وعليهم غالب.))(١٣٢) ولا يبتعد الجاحظ في ارائة هذه عما اقره علم نفس الطفل الحديث فـ ((أية عملية تربوية لا تراعي الشروط النمائية السائدة في مرحلة معينة وما تتطلبه هذه الشروط من عوامل تساعد الناشئة على اكتساب المهارات والعادات السلوكية بأنواعها المختلفة المناسبة لكل مرحلة ، لا تحقق أهدافها المرجوة منها . لذا تعتبر مناقشة مطالب النمو على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة إلى دارسي علم النفس التربوي، والطفل ليس عجينة نسويها كما نشاء وفي أي وقت نشاء)) (١٣٣) .

الخاتمة ونتائج البحث

أشار البحث بإيجاز شديد إلى موضوع اهتمام العرب قبل الإسلام بتنشئة الأبناء فقد حفل الأدب العربي متمثلا بالشعر والنثر بالعديد من الشواهد التي تؤكد ذلك . ومع ظهور الإسلام اعتمد المسلمون ما جاء به من تعاليم وتوجيهات حول التربية والتنشئة من خلال إيراد القران الكريم الكثير من قصص الأنبياء والصالحين مع أبنائهم وما تقدموا به إليهم من النصح والتوجيه ، فقد صحبت التربية الإسلام منذ بدء ظهوره وانتشار نوره على يد النبي(صلى الله عليه واله وسلم) الذي أرسله الله تعالى إلى الناس كافة يعلمهم أمور دينهم ودنياهم ، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم . فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أول معلم في الإسلام .

أما موقف الجاحظ من التربية وما يمكن أن يتضمنه أدبه من فكر تربوي فقد اتضحت من خلال البحث مجموعة من الأفكار والآراء التي تضمنها أدب الجاحظ ، فمن المعلوم أن الجاحظ لم يقدم مؤلفا خاصا بموضوع التربية والتعليم كما فعل من جاء بعده من العلماء والمفكرين المسلمين ، بل أننا نجد تلك الأفكار التربوية متناثرة في كتبه المتعددة.

ان أولى الأمور التي يجب ان نشير اليها هي تصحيح الرأي القائل بموقف الجاحظ السلبي من المعلمين ، فقد اثبت البحث دفاع الجاحظ عن فئة المعلمين ، مع الإقرار بأنه أشار في بعض كتبه إلى بعض الصفات السيئة عند بعضهم فضلا عن بعض النوادر المبثوثة في كتب الأدب وتُنسب للجاحظ .

وما لاشك فيه أن في الناس حاجة إلى تعلم الكثير من الأشياء، و بتعدد تلك الأشياء المطلوب تعلمها تعددت اختصاصات المعلمين، ولذلك قسَّم الجاحظ المعلمين إلى أصناف ، وكل صنف منهم يختص بتعليم علم من العلوم . وهناك من المعلمين من قام بتعليم العامة (أبناء الرعية) ، ومنهم من قام بتعليم أبناء الطبقة العليا من القوم، وهم على ضربين: منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد

الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة.

وقسم الجاحظ العلوم إلى فكرية وأخرى عملية تعتمد الحركة وما يتصل بالتربية الجسدية ، أما الفكرية فهي العلوم الذهنية كالحساب والهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير، وما أشبه ذلك ، وما يتعلق بالعقيدة والعبادات كالفرائض والقرآن وما يتصل بهما من علم النحو واللغة . اما العملية فكل ما يتصل بالتربية الجسدية من الألعاب والحرف والصناعات اليدوية .

إن الجاحظ يتعامل مع موضوع أهل الصناعات والحرف تعامل عالم الاجتماع الذي يتخذ مبدأ الواقعية منهجا له، فهو يرى أن الأساس الذي بُنيت عليه المجتمعات البشرية منذ القدم ولا تزال وسوف تبقى إلى أخر الدهر هو (حاجة الناس بعضهم إلى البعض). إن الجاحظ في آرائه حول أصحاب الصناعات والحرف يعيد إلى العامة أو الرعية ومعلميهم قيمتهم الاجتماعية بوصفهم جزأ لا يمكن لأي مجتمع أن يستغني عنه .

يؤكد الجاحظ ضرورة اعتماد مبدأ الوسطية عند التعامل مع الطفل وتربيته ، ويشدد على الجانب النفسي لدى الطفل وما يجب أن يراعيه المعلم أو المربي عند التعامل معه فهو يدعوه إلى أن يكون أحبَّ من أم الطفل إليه، ولا يخفى ما يعنيه هذا القول من عظيم الجهد الذي لا بد أن يبذله المعلم للوصول إلى مثل هذه المنزلة من الطفل. ولا بد من الالتفات إلى الطريقة التي يحاول من خلالها المعلم أو المربي أن يوصل ما عنده من ضروب العلم والمعرفة إلى الطفل فليس هناك فاصل كما يرى الجاحظ بين ما يمكن أن يكنه الطفل من المودة لمعلمه أو مربيه وبين الطريقة التي يتلقى من خلالها ما يزوده بها فقد يكون سوء الطريقة سببا لنفور الطفل وكراهته لما يتلقاه من معلمه، ولا يفوت الجاحظ أن يشير إلى المغريات المادية التي يستطيع من خلالها المعلم أو المربي أن يشجع الطفل على الإقبال على التعلم.

يرى الجاحظ أن كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات ، لذلك أكد ضرورة أن يكون المعلم قادرا على التعامل مع الطفل وتقمص شخصيته ليكون له اقرب، حتى لو تتطلب الأمر منه أن يضحي بفصاحته ليخاطب الطفل بمستوى من الخطاب الذي يفهمه .

كما دعا الجاحظ المربين إلى تعليم الطفل من النحو ما يعود عليه بالفائدة ، ورأى ضرورة الابتعاد به عما لا يحتاجه منه .

إن النزعة العقلية التي عُرف بها الجاحظ جعلته من أنصار الاستنباط ، فهو يرى أن يدرب المعلم تلاميذه على فهم ما يقرأون ولا يكون همهم منصباً على الحفظ دون الفهم لما يقرأون.

يؤكد الجاحظ ضرورة القيام بعملية توجيه الناس وإرشادهم وإن لم يُقدرّوا ما يُقدم إليهم أو يعرفوا فضله فلا بد - كما يرى الجاحظ - من وجود المرشدين والمؤدبين حتى لا يُترك الناس لشهواتهم. ويدعو إلى ضرورة مراعاة العامل النفسي عند القيام بمهمة التوجيه والإرشاد من خلال التأكيد على أن يكون الإرشاد والتوجيه من خلال الكتب بعيدا عن الاحتكاك المباشر مع من يحتاجون إليه.

الهوامـش

(١) ينظـر: الفكـر التربـوي العربـي الإسـلامي فـي أصـول التربيـة د . إسـماعيل إبراهيم الجعفري
، ص١٥٥.

(٢) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، ص ٣٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

(٤) الأغاني : ٩٨/٣ -٩٩.

(٥) البقرة ١٣٢

(٦) لقمان: ١٣ -١٩

(٧) التربية في الإسلام، الدكتور احمد فؤاد الاهواني ص ٨ .

(٨) المصدر نفسه، ص٧٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ٧٦

(١٠) ينظر : المصدر نفسه، ص٧٧

(١١) ينظر : المصدر نفسه، ص٨٧

(١٢) المصدر نفسه، ص٨٧

(١٣) ينظر : المصدر نفسه، ص٥٨

(١٤) ينظر : المصدر نفسه، ص ، ٥٨ ومجلة الوعي الإسلامي الكويتية، عدد ٣٩٦، ١٩٩٨م أ. د. محمد أبو الأجفان نقلا عن:

http://alnajjar66.maktoobblog.com

(١٥) ينظر : المصدر نفسه.http://alnajjar66.maktoobblog.com

(١٦) ينظر : المصدر نفسه.http://alnajjar66.maktoobblog.com

(١٧) ينظر: التربية في الإسلام، الدكتور احمد فؤاد الاهواني، ص٥٨ .

(١٨) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية : احمد ةخالد الشركة التونسية للتوزيع، ط ١، ١٩٨٦، جانقي ، ص٤

(١٩) ينظر : المصدر نفسه، ص ١٢- ١٣ .

(٢٠) المصدر نفسه، ص٢٦٣

(٢١) ينظر : المصدر نفسه، ص٦٢ .

(٢٢) ينظر : المصدر نفسه، ص٦٤-٦٦ .

(٢٣) ينظر : المصدر نفسه، ص٥٧ .

(٢٤) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٢٥) الرسالة المفصلة ، ص ٤.

(٢٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٧ .

(٢٧) ينظر : في الفكر التربوي الإسلامي ، الدكتور لطفي بركات احمد ، دار المريخ ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٨٢ ، ص١٢٣ .

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٦ .

(٢٩) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٧٢

(٣٠) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٧٤

(٣١) في الفكر التربوي الإسلامي ، الدكتور لطفي بركات احمد، ص١٢٧

(٣٢) التربية والسياسة عند أبي حامد الغزالي ، د. احمد عرفات القاضي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠ م ، ص ٥٣

(٣٣) في الفكر التربوي الإسلامي ، الدكتور لطفي بركات احمد، ص١٣٠ .

(٣٤) ينظر: إحياء علوم الدين ج ٣ ص٧٢

(٣٥) المصدر نفسه، ج ٣ ص٧٢

(٣٦) ينظر: المصدر نفسه، ج ٣ ص٧٣

(٣٧) المصدر نفسه، ج ٣ ص٧٣.

(٣٨) ينظر : جون ديوي : الديمقراطية والتربية ، ص ١٧٦ ، نقلا عن : التربية والسياسة عند ابي حامد الغزالي ، د. احمد عرفات القاضي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠ م ، ص ٥٩ .

(٣٩)ينظر: الفكر التربوي عند ابن جماعة ، ص١٢.

(٤٠) المصدر نفسه، ، ص ٥٩ .

(٤١) ينظر: المصدر نفسه، ، هامش ص ١٥

(٤٢) ينظر : الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق : تحليل وتحقيق الدكتور عبد الأمير شمس الدين ص١١ ، وما بعدها .وفي الفكر التربوي الإسلامي، ص ١٥٣

(٤٣) في الفكر التربوي الإسلامي، ص١٥٤.

(٤٤) الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ، ص ٥٧ .

(٤٥) المصدر نفسه، ، ص ٥٩ .

(٤٦) المصدر نفسه، ، ص ٧٦ .

(٤٧) ينظر : المصدر نفسه، ص ٧٣ -٨٠ .

(٤٨) كتابه في المعلمين، الرسائل الأدبية، ص 202.

(٤٩) طبقات المغنين، الرسائل الأدبية، ص ٢١٧ .

(٥٠) ينظر: كتابه في المعلمين ص 202، الرسائل الأدبية .

(٥١) ينظر: الطفل والتراث د- محمد ابراهيم حوَّر، ص ٢٢.

(٥٢) ينظر : الطفولة في الإسلام، ص٩١ .

(٥٣) ينظر : التربية في الإسلام، ص١١ ، وملحق به الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقايسي ، وآداب المعلمين لابن سحنون : الدكتور احمد فؤاد الاهواني – دار المعارف بمصر ، د. ت .

(٥٤) ابن سحنون : آداب المعلمين: نقلا عن : التربية في الإسلام، ص ٣٦٠، والطفولة في الإسلام ص ٩٣.

(٥٥) البيان والتبيين ٢ /١٢٥ أبو ملحم

(٥٦) المصدر نفسه، ٢ /١٢٤ أبو ملحم

(٥٧) المصدر نفسه، ٢ /١٢٥ أبو ملحم

(٥٨) المصدر نفسه، ٢ /١٢٤ ابو ملحم

(٥٩) كتابه في المعلمين، الرسائل الأدبية، ص٢٠٠ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ص٢٠٦.

(٦١) تاريخ ابن خلدون _ المقدمة لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ص٤٣٧.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٤٣٨ .

(٦٣) ينظر: الطفل والتراث د- محمد إبراهيم حوّر ص ٢٣.

(٦٤) ينظر : مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٣٨ .

(٦٥) ينظر : الطفولة في الإسلام ص ٩٧ - ٩٨

(٦٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ٩٧ .

(٦٧) مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٣٩ .

(٦٨) ينظر: كتابه في المعلمين، الرسائل الأدبية ، ص 202 .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص٢٠٥ .

(٧٠) أدب الطفولة- أصوله ومفاهيمه – رؤى تراثية، د. احمد زلط ، ص ٣٣.

(٧١) ينظر : ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٧ .

(٧٢) وينظر: أدب الأطفال – فلسفته. فنونه. وسائطه –د. هادي نعمان الهيتي، ص٢٢ - ٢٣ ، ص ١٣٣. وينظر : اللغة وعلم النفس – دراسة للجوانب النفسية للغة ، د. موفق الحمداني ، ص ٤٥ – ٤٦ ، وينظر: اللعب ونمو الطفل : ماريا بيرس، جنيفيف لاندو، ص٢٦، ص ٣١ ، ص ٣٤، ص ٤٢ .

(٧٣) ينظر : القصة وثقافة الطفل ص ٢١-٢٢.

(٧٤) اللعب ونمو الطفل، ص١٤.

(٧٥) اللعب ونمو الطفل، ص٢١ .

(٧٦) ينظر: كتابه في المعلمين ، الرسائل الأدبية، ص 202.

(٧٧) ينظر: المصدر نفسه ، ص 202.

(٧٨) ينظر: سيكولوجة اللعب، ص ٥٢ .

(٧٩) اللعب ونمو الطفل، ص٢١.

(٨٠) رسالة فخر السودان على البيضان،

(٨١) اللعب ونمو الطفل، ص ٤٠.

(٨٢) كتابه في طبقات المغنين ، الرسائل الأدبية،ص ٢١٧ .

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .

(٨٤) ينظر: كتابه في المعلمين، الرسائل الأدبية، ص 202 .

(٨٥) المصدر نفسه ، ص٢٠٢ .

(٨٦) البيان والتبيين ١ /٢١٠. أبو ملحم .

(٨٧) المصدر نفسه، ١ /٢١٠ _٢١١ . ابو ملحم .

(٨٨) المناحي الفلسفية ص ٤١٨.

(٨٩) الحيوان ١ /٣٥ -٣٦ .

(٩٠) فصل ما بين الأنبياء والكهنة .

(٩١) كتابه في حجج النبوة، الرسائل الكلامية ، كشاف آثار الجاحظ ، ص ١٣٧ .

(٩٢) البيان والتبيين ١ /٢١٠ _٢١١ . أبو ملحم .

(٩٣) المصدر نفسه ،١ /٢٠١ _٢٠٢ . أبو ملحم .

(٩٤) كتابه في المعلمين ص 208 الرسائل الأدبية .

(٩٥) المصدر نفسه ، ص 200 الرسائل الأدبية .

(٩٦) ينظر: البيان والتبيين ١ /٢٠٣ . ابو ملحم .

(٩٧) إبراهيم خليل جريس – كتابان للجاحظ : كتاب المعلمين وكتاب في الرد على المشبهة – تحقيق ودراسة جامعة تل أبيب -عكا ١٩٨٠، ص ٥٢ .

(٩٨) الرسائل الأدبية ، ص ٢١١ .

(٩٩) كتابه في المعلمين ص ٢١٢ الرسائل الأدبية .

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(١٠١) إحياء علوم الدين ، ص ٧٣ .

(١٠٢) كتابه في المعلمين ص ٢١٢ الرسائل الأدبية

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ الرسائل الأدبية .

(١٠٤) إحياء علوم الدين ، ص ٧٣ .

(١٠٥) أدب الأطفال – فلسفته. فنونه. وسائطه – د. هادي نعمان الهيتي – دار الحرية للطباعة- بغداد ١٩٧٧ ، ص ١٤.

(١٠٦) كتابه في المعلمين ص ٢١٢ الرسائل الأدبية

(١٠٧) البيان والتبيين ، مج١، ١٣٦ .

(١٠٨) الخطابة لأرسطو ، ص ٢١٠.

(١٠٩) البيان والتبيين ، مج ١ ، ١٣٥ .

(١١٠) كتابه في المعلمين ، الرسائل الأدبية ، ص ٢٠٤ -٢٠٥ .

(١١١) البيان والتبيين، مج١، ١٣١.

(١١٢) ينظر:أدب الأطفال– فلسفته. فنونه.وسائطه –د. هادي نعمان الهيتي،ص٩٩ .

(١١٣) البيان والتبيين، ص ١٣١مج ١ .

(١١٤) كتابه في المعلمين ص ٢٠٦ الرسائل الأدبية .

(١١٥) نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي ، بقلم محمد بن عبد الغني المصري ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان –الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص٩٧ .

(١١٦) البيان والتبيين، ص ١٢٩ ، مج ١.

(١١٧) أسرار البلاغة في علم المعاني ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، علق حواشيه : السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ١٢٨

(١١٨) كتابه في المعلمين ص ٢٠٦ – ٢٠٧ الرسائل الأدبية.

(١١٩) ينظر : نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي ، ص٨٥ .

(١٢٠) البيان والتبيين، ص ١٢٩، مج ١.

(١٢١) كتابه في المعلمين، الرسائل الأدبية ، ص ٢٠٥ .

(١٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ -٢٠١

(١٢٣) ينظر : الفكر التربوي العربي الإسلامي في أصول التربية د . إسماعيل إبراهيم الجعفري، ص١٦١.

(١٢٤) البيان والتبيين، ص ١٢٩ مج ١ .

(١٢٥) رسالة الفتيا ، الرسائل الأدبية ، ص ٢٤٩، والحيوان ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(١٢٦) في كتاب استحقاق الإمامة ، رسائل الجاحظ ، الرسائل الكلامية ، ، ص ١٩٥ .

(١٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٦ .

(١٢٨) رسالة الفتيا ، الرسائل الأدبية ، ص ٢٤٩ .والحيوان ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(١٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ .

(١٣٠) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ وما بعدها.

(١٣١) المصدر نفسه ، ص٢٤٧ .

(١٣٢) المصدر نفسه ، ص٢٥٢.

(١٣٣) أدب الأطفال – فلسفته. فنونه، وسائط ص ١٣ - ١٤ .

المصـــادر

- إحياء علوم الدين،الجزء الثالث ، تصنيف الإمام أبي حامد بن محمد الغزالي ، ت (٥٠٥ هـ)،دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٢ .
- أسرار البلاغة في علم المعاني ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، علق حواشيه : السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .
- الأغاني ، أبو الفرج الاصبهاني، ج ٣ ،
- أدب الأطفال – فلسفته. فنونه. وسائطه –د. هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد،١٩٧٧ .
- أدب الطفولة-أصوله ومفاهيمه – رؤى تراثية، د. احمد زلط، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط ٤ القاهرة ١٩٩٧ .
- أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، دراسة وتحقيق : د. بهجة عبد الغفور الحديثي ، ط ٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١ .
- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قدم له وبوبه وشرحه : د.علي ابو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢ م .
- تاريخ ابن خلدون _ المقدمة :المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، (ت ٨٠٨ هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ .
- التربية في الإسلام، الدكتور احمد فؤاد الاهواني، ملحق به ١ – الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين . ٢ – آداب المعلمين لابن سحنون .دار المعارف بمصر.
- في الفكر التربوي الإسلامي، الدكتور لطفي بركات احمد، دار المريخ، الرياض، ط ١، ١٩٨٢.

- التربية والسياسة عند أبي حامد الغزالي ، د. احمد عرفات القاضي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م.

- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، شرح وتحقيق : د. يحيى الشامي ، دار ومكتبة الهلال.

- الخطابة لأرسطو ، ترجمة : د. عبد الرحمن بدوي ، دار الرشيد للكتب - بغداد ، ١٩٨٠.

- الفكر التربوي عند ابن جماعة، دراسة وتحليل : د. عبد الاميرز. شمس الدين، الشركة العالمية للكتاب ، مكتبة المدرسة – دار الكتاب العالمي ، ط ١ ، ١٩٩٠ .

- الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق : دراسة وتحليل : د. عبد الاميرز. شمس الدين، الشركة العالمية للكتاب ، مكتبة المدرسة – دار الكتاب العالمي ، ط ١ ، ١٩٩١ .

- رسائل الجاحظ - الرسائل الأدبية، قدم لها وبوبها وشرحها : د. علي ابو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط ٣ ، ١٩٩٥ .

- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين، دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية : احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٦، جانقي.

- سيكولوجية اللعب، د. سوزانا ميلر ، ترجمة : د. حسن عيسى ، مراجعة : د. محمد عماد الدين إسماعيل ، عالم المعرفة ، ١٢٠ ، ١٩٨٧ .

- الطفل والتراث : مدخل لدراسة أدب الأطفال في الأدب العربي القديم ، د. محمد إبراهيم حوّر، دائرة الثقافة والإعلام ، ط ١ ، ١٩٩٣ .

- الطفولة في الإسلام: مكانتها وأسس تربية الطفل ،حسن ملا عثمان ، دار المريخ للنشر ، ١٩٨٢ ، الرياض .

- القصة وثقافة الطفل ، د. يوسف حسن نوفل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

- كتابان للجاحظ: كتاب المعلمين وكتاب في الرد على المشبهة ، تحقيق ودراسة : إبراهيم خليل جريس - جامعة تل أبيب - عكا ١٩٨٠ .

- اللعب ونمو الطفل : ماريا بيرس ، جنيفيف لاندو ، اعداد الدكتور عبد الرحمن سيد سلمان، والدكتورة شيخة يوسف الدبستي، كلية التربية – جامعة قطر، الناشر : مكتبة زهراء الشرق ، ١٩٩٦.

- اللغة وعلم النفس – دراسة للجوانب النفسية للغة ، د. موفق الحمداني ، دار الكتب – جامعة الموصل ، ١٩٨٢ .

- مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، عدد ٣٩٦، ١٩٩٨م نقلا عن الانترنت :

http://alnajjar66.maktoobblog.com

- المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، تالف الدكتور : علي أبو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، ٢٠٠٩ .

- نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي ، بقلم محمد بن عبد الغني المصري ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان –الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٧

- الفكر التربوي العربي الإسلامي في أصول التربية د . إسماعيل إبراهيم الجعفري ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، الطبعة العربية ٢٠١٠ .